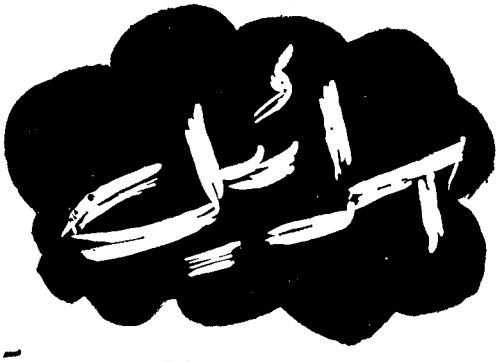

باطل الأباطيل وقبض الريح !

بقلم يوسف أحمد المحمود

« ويل لي ياأمي لانك ولدتني انسان خصام وانسان نزاع لكل الارض ... » صرخة يهودي قديم وجد متسعا ليلعن اليوم الذي ولد فيه . والصهيونية التي أخذت على نفسها ان تؤدي رسالة « الخصام والنزاع » بأشنع شكل في الوطن العربي ، تتخذ اليوم من حرب «الايام الستة » مناطق ضغط مرتفع ، تمطرنا منها بالمنطق والواقع والتعقل ، وترعد بالوعيد وتبرق بالتهديد .

منطق القوة !... وقديما حملته الينا أفيال الحبشة ، وطحون الفرس واجتاحتنا به سيول المغول وامواج الصليبيين ، واقتعد صدورنا به الاتراك .

واقع الاحتلال !.. وحديثا داهمتنا به بريطانيا « العظمى »،وفرنسا وايطاليا .

والان ... يضاف اليهما تعقل الصهيونية ! « باطل الأباطيل » في عصر العلم وغزو الفضاء ، تحاول بمنطق القوة وواقع الاحتلال، ان تفرض علينا بالتعقل خرافة ظلمات التاريخ ، و « قبض الريح » !

وتوهم اسرائيل انها تعذر فيما تنذر . فما كانت اساءتنا الى اليهود قبل أن تقتحمنا الصهيونية بهذا الغزو ؟ هل نحن الذين ولدتنا امهاتنا انسان خصام ونزاع لكل الارض ؟ أي منطق ، أي واقع ، واي تعقل يدعو الصهيونية الى تركيب هذه المعادلة الشيطانية : العرب والفناء واليهود !

اسرائيل « توعي » الشباب الفلسطيني .. تحذرهم من تفريغ المنظمات الفدائية بهم وتعريضهم للقتل . وتنسى هي تفريغها باليهود فتلملمهم من اقطار العالم ، وتزج بهم في فلسطين لتقتل بهم شعبا في وطنه . وما من أحد في الدنيا يستنكر ان يكون جزاء القاتل الباغي القتل .

اننا هنا لانحاول ان نرد على الاساليب اللاانسانية واللاخلقية التي ماتفتأ اسرائيل توجهها الينا كل يوم في صيغة احاديث خبيثة ماكرة وتعليقات ، خاطفة وغير خاطفة ، بل اننا خطوة خطوة مع : منطق وواقع وتعقل باطل الاباطيل وقبض الريح .

اسرائيل وسياسة سل الشعرة من العجين :

من « مرددات » اسرائيل اليومية محاولة الفصل بين الزعامة العربية ـ الحكام ، كائنا نوع سلطتهم ماكان ، وبين الشعب الذي لاتزال السلطات الوطنية تحتفظ بتقسيمه في اقطار حسب تخطيط الانتداب والاستعمار . انها لا تفتأ تظهر أنها لا تريد سوءا بهذا الشعب، بل ان حسابها ، كل حسابها مع الزعامة التي لاتزال تجر ، في زعمها ، الويل والثبور على محكوميها . انها تجهد نفسها بالاعلان ، تلويحا وتصريحا ، أنها ضد الفساد ـ فساد غيرها ـ في هذه المنطقة . وهذا الفساد متمثل ، كما يطيب لها ان توهم ، في الحكام !

ولكن .. هل الشعب العربي ، الذي تقول أمثاله « أنا وأخي على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب » ، من الغفلة بحيث يروق لاسرائيل ان تفترض ؟ هل هو من سوء الظن بنفسه بحيث لم يعد يجد من يهتم به ويرعى مصالحه ويصون كرامته ويكفل له حقوقه الا الصهيونية ؟

ان اسرائيل لاتدأب على ترديد شيء الا حسب خطة قريبة وبعيدة . انها ليست من الغباء الى حد تفترض فيه انه لايوجد لكل حكم وطني معارضون ومنتقدون ، بل ومناهضون ، لانها هي نفسها لاتخلو من مثل هذه المظاهر التي تعتبر مظاهر صحة اكثر مما هي مظاهر مرضية ، ولكنها لاتتورع ان تأخذنا نحن بالغباء ، وتجعل ماهو صحة في الطبيعة مرضا فينا ووباء على ارضنا . والعناية الالهية التي « ماانزلت داء الا وانزلت له دواء » قد خصت بها هذه المنطقة . ومن الداء مايعالج ـ على حد تخطيطها ـ بالغباء .

ونحن كشعب لايحط من شاننا ان لانكون مع حكامنا في كل شيء. كما انه لايرفع من شأن هؤلاء الحكام ان نوافقهم في كل شيء . ولكن ان ترمي اسرائيل بهذا التحريض غير المباشر الى ايقاع الشعب بحكامه ، لتكون هي المنتفعة فاننا لانظنها قد قدرت فينا اي ذكاء ولا احسنت بنا الظن .

انه لايغيب عن بال احد منا ، شعبا وحكاما ، ان العدو المبصر بالعيوب أنفع من الصديق الذي لايرى الا الحسنات . اما ان تجعلنا اسرائيل في مستوى لانفرق فيه بين النصيحة والوقيعة ، وبين الصديق والعدو ، فهذا ما يؤكد لنا أنها تحاربنا معا ، شعبا وحكومات . ومن جنود هذه الحرب ان تفصل بين الشعب وبين الحكام لتتقي بكل جانب خطر الاثنين معا .

والسخرية ليست في هذه البداهة « الصهيونية » . وانما هي في ان تكون اسرائيل تعلم كل العلم ان كل الانقلابات والثورات التي تعاقبت قيامها في بعض الاقطار العربية ، انما كانت غضبا من الشعب لقيامها هي بالذات . وان تعلم ان الشعب العربي في كل أقطاره وفي مهاجره غاضب على حكامه لانهم لايوحدون نظمهم وقواهم لمواجهة خطر اسرائيل .

اسرائيل لاتتجاهل هذا . ولكنها تحاول جاهدة ان تجعل الغاضبين يتجاهلون سبب غضبهم وان يختلط عليهم الامر ، كانها ليست هي سبب

هذا الغضب ، وكانها ، بقتلها العرب واحتلالها لارضهم ، لم تفعل ما يغضب له ، ولم تات بما يغضب الشعب العربي عليها هي ، بل ما يغضبه على حكامه ولاسباب اخرى !

هل تجرؤ اسرائيل على ان توهم انها تراف بالشعب العربى ، وان عداءها انما هو للزعماء الحاكمين فقط ؟ اذا كان هذا هو مضمون ما تكرره كل يوم وتلح عليه للفصل بين الشعب والحكام ، فهل كان العرب الذين ذبحتهم في دير ياسين ، والذين قتلتهم حيثما ثقفتهم في ارض فلسطين ، واضطرت من لم تثقف منهم الى النزوح الى ما وراء فلسطين هل كان كل اولئك من الزعماء ، حاكمين او غير حاكمين ؟ اذا كانت تفترض هذا الفصل في نفسها براعة وذكاء فهل تفترض فينا هذا المقدار من الغباء !! هل هي تزكي الشعب العربي بفصله عن حكامه حتى لا يمسه ضررها اخذا بسياسة « سل الشعرة من العجين » ، ام انها تسخر منا اذ تمدحنا بما يضرنا فعله وينفعها هي ؟

اننا نتمنى لو كانت ، وحرابها في قلوب الشعب اجمع قبل أن تكون في رؤوس الزعماء ، تخدع نفسها هذه الخدعة الكبيرة المزرية . ولكننا لا نجعلها بحيث جعلتنا . فهي ليست بحاجة لان نؤكد انه لو استجابت الزعامة العربية الحاكمة لرغبات الشعب نصف استجابة فقط ، لكانت البلاد العربية ، من الخليج الى المحيط ، دولة واحدة، تحقيقا للشعار الذي ما زال الشعب يهتف به منذ مطلع الخمسينات: ارض واحدة ، شعب واحد ، علم واحد ، جيش واحد ، ورئيس واحد. ولا يغيب عن بال ابسط فرد من هذا الشعب ان دون ذلك صعوبات ، ولكن اي صعوبة تقاس بما حمله الينا وجود اسرائيل كيانا دخيلا عدوا بيننا ، يهددنا بالاخطار العاجلة والآجلة ؟

هل تموت اسرائيل بما عاشت به ؟

ولا تبرح اسرائيل هذا الموقف . فما تخاطب به الشعب العربى عامة تخاطب به الفلسطينيين خاصة . انها في برامجها الموجهة الى الفلسطينيين النازحين وباللهجة الفلسطينية العامية تصر على ان تثبت في روعهم ان الزعامة العربية هي التي ادت بهم الى هذا المصير .هي التي عرضتهم للقتل في بيوتهم ، وسببت التشرد ان لم يقتل منهم .هي التي تاجرت ولا تزال تتاجر بقضيتهم وتشردهم ، لان حكم هذه الزعامة حسب تعبيرها ، رهن ببقاء الفلسطينيين النازحين نازحين ، ووقف على بقاء النازحين متشبثين بالعودة الى ديارهم . ولو تولى الفلسطينيون قضيتهم بايديهم لما حصل لهم ما حصل ، ولما استمروا فيما لا يزالون مستمرين به من بؤس وتشرد و.. الخ ..

وهكذا تظل بالقضية من الفها الى يائها عند قضية الزعامة. فكانها ما جاءت الا لتخدم العرب بقطف رؤوس الزعماء ، ولكن اصفاء الفلسطينيين الى المتزعمين هو الذي اضطرها لمعاقبتهم هذا العقاب .

دابت اسرائيل على تلاوة هذا عشرين سنة على الفلسطينيين ، كانه الماء تصبه على الجلود التي قرحتها سياطها والبلسم تدهن به الاجسام التي حرقتها نيرانها . ثم قام الفلسطينيون ليحكوا جلودهم باظافرهم. جمعوا بقاياهم في منظمات فدائية ، راحت تقتحم ارضهم المغتصبة تقتحم الحديد والنار وتتسرب من الحواجز الالكترونية . فماذا كان رد اسرائيل على ما كانت تاخذ على الفلسطينيين عدم الاخذ به ؟ انها رغم كثرة المرادفات للفداء والبطولة والثار واسترجاع الحقوق المغتصبة لم تجد كلمة تسمي بها هؤلاء الفلسطينيين الا « المخربين » و«القتلة» و« المتسللين » .

ان اسرائيل التي ما تفتا تصم الزعماء العرب بتشبيههم بالنعامة المائور عنها اخفاؤها راسها في الرمال ، زاعمة انها تخفى كلها بذلك عن الصياد ، اسرائيل اخفت راسها هذه المرة لا بالرمل ، وانما بالوحل. ومن تحت الوحل راحت تدعو الزعماء العرب الى المنطق والواقع والتعقل متناسية الفلسطينيين اصحاب القضية واصحاب الحق ، الذين لم يجدوا وسيلة لاسترجاع بلادهم الا ان يبادهوها ، وهي تتبجح كدولة بما بادهتهم به هي يوم كانت مجرد منظمات يدربها ويسلحها ويرعاها الاستعمار ، وهم افراد عزل يكبحهم ذلك الاستعمار !

لقد افترضت وجودها منطقا ، وعلى الزعماء العرب ان يتثقفوا بهذا المنطق . واعتبرت قيامها واقعا ، وعلى هؤلاء الزعماء ان لا يفوتوا على انفسهم فرصة التسليم به . واعتقدت ان قوتها تعقل ، وعلى الزعماء ان يتشجعوا ولا يحجموا عن التحلي بهذا العقل . ولماذا الزعماء في كل فرضية وفي كل مقدمات منطقية ، وهي ما تفتا تعلن جهادها في هؤلاء الزعماء ؟ لماذا لا تتحلى هي بما تلزم غيرها التحلى به ، وتسمي الاشياء باسمائها الصحيحة ، فتضع ـ وهذه المرة فقط ـ المنظمات الفلسطينية مقدمات للمنطق الصحيح ، وليس منطقها الصهيوني وحده !

ان المنطق العربي قال لزعماء اليهود منذ قرون:« ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون. أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم. .«ونحن ما كان ليهمنا ان تنسى الصهيونية نفسها مما تلزم غيرها به لولا انها تحمل هذا الغير على ان يترك صوابه هو لخطئها هي، وان تصبغ باطلها بحقه ، فيصير هو المخرب اذا ما قام يسترد ارضه بدمه، ويصير هو القاتل اذا ما استماتت بزحزحة المغتصب عن تلك الارض . ان تحتل الصهيونية الارض .. ان تقتل.وتشرد اهلها الذين كانوا عزلا ،فهذا بطولة خارقة . اما اذا استرد الفلسطينيون انفاسهم وجهدوا باقتحام اسوار الموت التي اقامتها اسرائيل من حول تلك الارض ليثاروا لعشرين سنة من التشرد والقهر ولالاف القتلى ولمقدسات وطن، فهذا تخريب وقتل ، وليس من المنطق في شيء !

المنطق ان تتبجح الصهيونية انها « حررت وطنا » مزعوما مرت به، وهي مجرد جماعة بدوية ، في ظلمات التاريخ وبمساعدة الاستعمار الذي كان ينوء به آنذاك ثلاثة ارباع العالم وليس العرب وحدهم .اما ان يقوم الفلسطينيون بالخطوات الاولى لاسترجاع وطنهم الذي لا يستطيع ان ينكر وجودهم المستمر فيه ناكر ، ولا يجحد حقهم فيه جاحد وبعد عشرين سنة فقط من اغتصابه ، فهذا ليس بمنطق !

فهل اخذت الصهيونية تتمتع بمزايا الجهل الذي ما زالت تصم به الزعماء العرب ؟ اذا كانت هي قد صارت دولة بعمليات ارهابية وسمت ذلك بطولة خارقة ، فكيف تستكبر ان تموت بنفس العمليات التي كفلت لها عشرين سنة من الحياة القلقة ! اننا لا نطمئن الى ان اسرائيل اخذت تخطئ، فهي موقنة بانها مضطرة الى هذا الخطأ ،ولكنها تحاول ان تجعل هذا الخطأ فينا نحن ، وان تلزمنا اياه بالترديد والتكرار . وما تحاوله اسرائيل بالنسبة للشعب العربي عامة بالفصل بينه وبين الزعامة الحاكمة ، تحاوله بالنسبة للفلسطينيين خاصة بالفصل بينه وبين زعامته هو من جهة ، ومن جهة ثانية بالفصل بينه وبين الزعامة العربية كلها . وكان القضية كلها قضية متزعمين و« متطاحمين » على الزعامة ولا شيء آخر . وهذه افدح مغالطة يهم اسرائيل ان نبقى منشغلين بها ، وان تحول هي بها كل شيء عن وجهه الصحيح .

التادب الصهيوني :

ما تزال اسرائيل ، وحسب خطة نفسية مدروسة ورغم وقوفها بالقضية عند حد الزعامة ، تحرص ان لا تقول كلمة بذيئة صراحة في اي حاكم عربي ، وبخاصة في نشرات اذاعتها الاخبارية . وقلماتورد اسم حاكم الا مسبوقا ب « السيد » او الرئيس او الملك ، جدا كان او تهكما ، مقابل ما لا تزال تجود عليها به بعض الاذاعات العربية من نعوت « دويلة العصابات » و« الملقب بوزير خارجية الصهاينة » الخ .. ولكن هذا التادب الذي التزمته تجاه الزعامة ، وموقفها منها معروف لم تلتزم شيئا منه تجاه الفلسطينيين ،بل سارعت الى وصمهم بالمخربين

والقتلة والمخدوعين . فلماذا تتشبث اسرائيل بما افترضته خطأ في الزعامة العربية ، وترفض الاعتراف بما هو صحيح في الفلسطينيين؟

كما كنا وما زلنا نلحق اي عمل يستهدف بنا ضررا بالاستعمار كذلك تصر اسرائيل على الحاق اي عمل فدائي يقوم به الفلسطينيون انفسهم بالزعامة العربية . واذا كنا نحن نصيب ثلاثة ارباع الصواب بالحاقنا الاعمال المضرة بنا بالاستعمار ، فان اسرائيل تخطىء مئة بالمئة ، وهي تمعن بالحاق الاعمال الفدائية بمصالح الزعامة العربية. فما هي مقدمات هذا المنطق والتعقل والواقع عند الصهيونية ؟ لان بعض الزعماء العرب يساعدون الفدائيين صار العمل الفدائي لحسابهم ؟ لانهم يتخذون ارض بعض الاقطار العربية منطلقا لعملياتهم صارت عملياتهم لحساب زعماء هذه الاقطار ؟ لماذا تغالط اسرائيل هذه المغالطة وتحاول ان تنسى الفلسطينيين بمدة عشرين سنة فقط ، وتحمل الفلسطينيين على ان ينسوا انفسهم وبلادهم بمثل هذه السرعة ،وتجهد ان تقنع العالم بان لا وجود للفلسطينيين ولا شان لهم !

الصهيونية نفسها ألم تعتمد على الاستعمار البريطاني ؟ ألم تأخذ منه الصك والسلاح والحماية والرعاية ؟ وظلت تمتص البرتقالة البريطانية حتى نمزقت قشرتها ونصل لونها . ثم تحولت الى « شركة ضمان » الاستعمار الكبرى ، اميريكا . وهي الآن تعيش عسكريا وسياسيا واقتصاديا على امتصاص هذه البرتقالة الاميركية . وستظل تمتصها حتى تستفيق شركة الضمان على افلاسها كما استفاقت بريطانيا . والصهيونية لا تمت بصلة رحم الى بريطانيا ولا الى اميركا ومع هذا فقد جهدتا ولا تزالان تجهدان بمساعدتها وضمان بقائها . فكيف ينفي منطق الصهيونية انها لا تعمل لحساب الاستعمار ؟ كيف لا يفتح ذلك المنطق عيني الصهيونية ، وليس عقلها ، الى ان الفلسطينيين عرب والمنطقة المحيطة بهم عربية ، ومن المنطق والواقع والتعقل ان يساعدهم العرب ، شعبا وحكومات . وهم اذ يفعلون ذلك فانهم لا يقومون الا ببعض الواجب تجاه الاشقاء المقهورين ، وتجاه رفاق التاريخ والمصير .. لا يقومون الا بما يمكن ان يمنعها من ان تفعل بكل العرب ما فعلته بالفلسطينيين ، وبكل الارض العربية مثل ما فعلت بفلسطين . اسرائيل ترفض منطق العرب فيها انها ، في هذه المنطقة ، أسلوب آخر من اساليب الاستعمار ، وهي التي قامت على اسس الاستعمار ولا تزال مرعية بعنايته ومحمية بسلاحه وتعيش على أمواله ، اما ان يساعد العرب اشقاءهم الفلسطينيين ، فهذا ما تحمل مسؤوليته الحكام والشعب معا ، وتوعد الاحتلال وتهدد بالتدمير .مرة اخرى منطق صهيوني !

رؤوس الاموال ورؤوس الشعوب :

اذا ما اعتبرنا « بروتوكولات حكماء صهيون » مجرد مصدر هستيري عابث ، الفت حديثا كما ألفت التوراة قديما ،اذا ما اعتبرناها مجرد مصدر جانبي لجموح فكرة « شعب الله المختار » ، واذا ما اعتبرنا سيطرة الصهيونية على وسائل الاعلام الغربي اطلاقا ، وسيطرتها الكلية او النسبية على رؤوس الاموال في مناطق متلاصقة او متقطعة من العالم ، فهل هذا يعني ان السيطرة على رؤوس الشعوب لا تختلف عن السيطرة على وسائل الاعلام ورؤوس الاموال ؟

صحيح ان الانسان لا يقاد من ناصيته بقدر ما يقاد من فكره ومن معدته . فاذا احتلت رأسه فكرة ما أفقدته الاحساس بالنار اذا ما حرق بها تعذيبا لايمانه بتلك الفكرة . واذا ما احتلت مصادر ملء معدته رفع يديه واعلن الاستسلام . ولكن الاصح من هذا ان للانسان جولة اخيرة مع من يهدد مصيره . اصح من هذا ان للانسان تشعيبا لكل فكرة تطرح للتداول . حتى الاديان ، سماوية او ارضية ، بدأت فكرة واحدة ولكنها ـ رغم قداستها ـ لم تلبث ان تشعبت ولونها فكر الانسان الفردي كما يلون لعاب فمه لقمة الطعام بالوانه الخاصة . والاحزاب المعاصرة كم من حزب منها بدأ خلية واحدة ، ثم انشطر الى عشرات الخلايا مقتربة من الاصل او مبتعدة عنه . هذا مما يقنعنا بان السيطرة على رؤوس الشعوب ليست مضمونة الى مدى بعيد ، لا بواسطة الفكر ولا بواسطة رؤوس الاموال حتى ولا بالقوة مهما كانت هذه القوة غاشمة او علمية . فلماذا ـ اذا ـ تضرب اسرائيل بهذا العنف الاحمق؟ هل اطمأنت الى اننا صرنا قشا لا يرد على نارها الا بان يلتهب،والى ان العالم صار في يدها عجينة تصنع بها ما تشاء ؟ ولماذا ترعد مهددة هذه المنطقة بالتدمير وشعبها بالابادة ؟

نحن واليهود :

هذا الطيش الذي تضربنا به اسرائيل هل هو انتقام لماض، امهو من بوادر تنفيذ اول خطوة من اقامة « دولة صهيون » العالمية ؟ قبل الاجابة عن الشق الاول من هذا السؤال لا بد لنا ، للامانة من ان نستعرض بايجاز علاقات العرب باليهود قبل ان تكون الصهيونية والسنة ١٩٤٨ .

اننا ، اذا ما استثنينا موقف بني النضير من اول بادرة لجعل العرب امة ودولة حضارية بقيادة محمد الرسول ، لا نعود نجد حدثا بارزا قام به اليهود علانية ضد العرب ، ولا حادثة مدبرة او عفوية ، قام بها العرب ضد اليهود . بل ان اليهود ، كائنة دوافعهم ما كانت ، اخذوا يساهمون باغناء التراث العربي الاسلامي الثقافي كما ساهم بذلك افراد يضيق بهم الحصر من امم اخرى ربطتها بالعرب رابطة الدين والحضارة . والحكام العرب المسلمون استعانوا باكثر من يهودي وحتى على مستوى وزارة في شؤون الحكم ، كما استعانوا ب « خبراء » او « فنيين » حسب تعبير هذا العصر ، من الفرس والروم في دواوين الدولة .

وكانت العصور الحديثة .. وقامت بعض الشعوب تستنهض هممها الكابية بالفكرة القومية وبعضها بوسائل اخرى ، حتى الرمق الاخير من القرن التاسع عشر ، فاذا بالصهيونية الغضة توجه انظار اليهود الى فلسطين لاقامة دولة لهم فيها . واذا نحن ، وبعد خمسين سنة فقط ، في معركة مصير مع الصهيونية على مستوى دولة . واذا نحن لا نكاد نتنفس الصعداء من مقارعة الاستعمار الغربي حتى نشرق من جديد بالصهيونية ، وهي تحتل قلب ارضنا مستعينة بالاستعمار نفسه ومطبقة لما فات الاستعمار ان يطبقه من الوسائل الشنيعة ، ولا سند لها في كل ذلك الا مرتكزات يؤخذ حتى المجنون التفوه بها .

الوهم القومي والحق التاريخي :

وفي الاجابة عن الشق الثاني من السؤال ، نترك مناقشة الحق التاريخي لليهود في فلسطين ، حيث يزعمون انه كان لهم في لحظة من لحظات الزمان مملكة في جزء من تلك الارض . لقد كان اليهود شرذمة من جملة الشراذم التي مرت في قسم من تلك المنطقة ، وكما هم اليوم شراذم في بقاع من العالم الحالي . فهل هذا الوجود الحالي يبيح لاحفادهم ، بعد آلاف السنين ان يدعوا حق امتلاك تلك البقاع لان اسلافهم كانوا فيها ذات مرة !

اذا كان لبقايا الناس حق المطالبة بحيث مر اسلاف لهم ، فانه ليحق لورثة الانظمة الرومانية ان يطالبوا الان وفي كل آن ، بحق العودة الى تركيا حيث كانت بيزنطة امبراطورية لمئات السنين . كما يحق لليونان اقامة دول في المناطق التي انساح فيها اسلافهم مع الاسكندر المقدوني . ولنا ، نحن العرب ، ان نطالب باسبانيا وبفارس حيث اقمنا قرونا . هذا .. مع الفارق الكبير في وضوح تاريخ الرومان واليونان والعرب وغموض تاريخ اليهود واضطرابه واختلاطه في جزء صغير من فلسطين ، ومع عدم نسيان القول ان ابراهيم الخليل الذي يدعونه قد

ـ التتمة على الصفحة ـ ٦٥ ـ

اسرائيل باطل الاباطيل وقبض الريح !

ـ تتمة المنشور على الصفحة ـ ١٠ ـ

جاء من « اور » وكان تعريفهم لا يزيد عن تعريف جماعة بدوية متنقلة.

نترك مناقشة الحق التاريخي المدعى ، لانه من دواعي السخرية والتندر ان يأتي انسان ما الى انسان آخر في بيته ويطلب اليه اخلاء ذلك البيت محتجا انه وجد في كتاب ادبي ، هو الاخر بحاجة الى براهين كثيرة لاثبات صحة عقول الذين كتبوه ، ان مكان هذا البيت كان قبل الفي سنة لاحد الذين يتبع دينهم . واذا كان ما يرد من اسماء امكنة في الكتب يبيح لورثة ذاك الكتاب المطالبة باحتلال تلك الامكنة ، فانهم ليمكن لنا نحن ان نطالب بأنقرة لانها وردت في شعرنا الجاهلي . واذا كان لكل انسان ان يحتل موطن فكرة يتشيع لها ، او موطن دين يعتنقه ، فهل كانت الصهيونية تستطيع ان تجد لها موطىء قدم في العالم كله !

اننا لا ننكر على اليهود ان يتذكروا ماضيهم . فتذكر الماضي من مميزات الانسان . ولكننا ننكر ان تصل حماقة هذا التذكر الى حد اغتصابنا بقعة من ارضنا يزيد وجودنا المستمر فيها ما عدا الوجود الكيفي عن ١٥٠٠ سنة . ونوجد في نفس الوقت في المناطق المحيطة بها بالجهات الاربع . ثم ان تتخذ هذه البقعة قاعدة للاستعمار تهدد بقاءنا كأمة تمتد ارضها في قارتين من الخليج الى المحيط . ثم ان تدق الصهيونية اجراس الخطر بهذا العنف الذي لايقف دون حد الابادة ، وكأن كل ما ذاقه اليهود من الاهانة خلال وجودهم كله على ايدي غير العرب يجتمع مرة واحدة لتقاصصنا به الصهيونية بلا هوادة . هذا هو ما ننكره ، ونحن نستغرب طيش الصهيونية تجاهنا.

نحن والاقليات العنصرية :

لم يثبت حتى الآن ، رغم براعة الصهيونية في الدعاية وجرأتها على الادعاء ، ان اليهود عرق انبتته البشرية ، متميزا عن غيره، فيما انبتت من عروق . بل هم جماعة بدوية ثم دينية ، تقلبت فيما تقلبت به جماعات كثيرة من عبادة مظاهر الطبيعة والحيوانات حتى عبادة العجل . وبالحري انهم جماعة فكرية اتخذت المظهر الديني كأي دعوة فكرية في العصور القديمة . ومع هذا .. فحتى التساهل بافتراض هذا الوهم ، انهم اقلية عرقية ، لا يزال لها بعض بثورها في مناطق من الارض العربية ، فان اليهود ليسوا الاقلية الوحيدة التي لها وجود كيفي بين العرب . فالعرب قد آووا وتقبلوا حتى الاقليات العرقية في العصور القديمة والحديثة على السواء . ولكن هذه العرقيات وعت مصائرها واعترفت لمن آووها وشاركوها ارضهم ومرافقهم العامة بالفضل الى درجة انها ربطت مصيرها بمصير العرب الا اليهود ، فما بالهم ؟

دولة لتفادي الاضطهاد :

يقول اليهود انهم منبوذون من العالم ، وظلوا عرضة للاضطهاد الى ان جرى لهم ما جرى في المانيا النازية .. ولكي يتفادوا الاستمرار فيما رافقهم عبر العالم ، فقد اهتدوا بالصهيونية الى اقامة دولة ... الخ ...

ولكن ما ذنبنا ، نحن العرب ، في كل ما تعرضوا له عبر العصور وعبر العالم ؟ اذا كان اضطهادهم ونبذهم من العالم يرجع الى حب ذلك العالم للاضطهاد والنبذ ، او يرجع الى قلة ادب اليهود وسوء تصرفهم تجاه الذين يؤونهم ، فما هي مسؤولية العرب في حب غيرهم للنبذ والاضطهاد ؟ واذا كانت الثانية ، فهل نحن المسؤولون عن قلة ادب اليهود وسوء تصرفهم اكثر من اليهود انفسهم ؟ اذا كان قد سبق لليهود ان أقاموا ، في ظلمات التاريخ « مملكة » في بقعة صغيرة من فلسطين فكم عاشت تلك المملكة ، وهل كان العرب هم الذين قوضوا اركانها ، وشردوا اليهود في شرق العالم وغربه ؟

انهم يقولون ، ونحن ايضا نقول ، بفخر او باشد الاسف، اننا وهم ساميون ، ولغتهم شقيقة لغتنا . ولكن ما الاضطهاد الذي انزلناه بهم ، ونحن أقوى ما نكون وهم أضعف ما يكونون ؟ هل لقيناهم بقيراط من الكراهية التي لوفوا بها في اوروبا ، شرقية او غربية كانت ؟ فكيف ينصبون علينا باحقادهم المزمنة على غيرنا ، وبعقد نقصهم المقرحة التي الحقها بهم غيرنا لقلة ادبهم وسوء تصرفهم، كيف تباد هنا الصهيونية باحتلال ارضنا وبالقتل الذي لا احتياط فيه؟ عذبوا في اوروبا ففانتهم الرجولة هناك ، ثم حملوا الوسائل التي عذبوا بها وجاءوا يستدركون رجولتهم على أرضنا وفي شعبنا ! ماذا سببنا لهم ؟

ان حظنا منهم كحظ اي بلاد في هذا العالم . لدينا اقلية منهم كما لدى العالم منهم أقليات . فماذا يلزمنا بان نفسح لهم مكان دولة في ارضنا ؟ لو كان في ارضنا متسع .لو كانت فلسطين بلا اصحاب لو انهم لم يبادهونا بالذبح والتشريد واحتلال الارض . لو انهم لا يهددوننا بالابادة صباح مساء . لو كانوا لا يستعينون بالاستعمار لفعل ذلك كله . هل كان بين العرب من يبخل على اليهود بان يعيشوا أقلية دينية بيننا كتلك الاقليات العرقية التي اندمجت بالعرب ، لها ما لهم وعليها ما عليهم ؟ اما ان يأتوا بهذه الحدة ويضربوا بهذه الشدة ، وبناء على فكر صهيوني ومخطط استعماري ، فهذا ما لا يسعنا قبوله ، ولا الاستسلام لمنطقه وواقعه وتعقله .

الصهيونية والانخداع بغرور القوة :

ليست الصهيونية أول قوة غازية تطيش طمعا بالارض العربية. فقديما طمعت فيها الحبشة محرضة من بيزنطة . والفرس البست طمعها حجة طرد الاحباش . ثم اجتاحها بنسب متفاوتة : المغول والصليبيون والاتراك والاستعمار الحديث . وكل موجة من هذه الامواج اندفعت فوق ارضنا باخرى من الحقد الصهيوني وبمثل وحشيته وعنفه . وكل موجة من تلك الامواج كانت اضعاف الصهاينة عددا وعدة . ومع هذا ، فأين هم المغول والصليبيون والاتراك والاستعمار الحديث ؟

نترك لاسرائيل ان تستعمل المنطق والواقع والتعقل بالاجابة عن هذا السؤال . ان التاريخ يقول اننا دفعنا اثمانا باهظة للتغلب على تلك الامواج الغازية الطائشة . هذا صحيح . ولكنه كم يشرفنا ويشهد لنا بالاصالة . فقد نضعف احيانا ، ونغلب حينا على بعض ارضنا اما الذين غزونا فأين هم ؟ فهل لدى الصهيونية غير وسائل تلك الامواج الوحشية ؟

اسرائيل والطريق المسدود :

اننا ، كما تقول اسرائيل ، نهدد اليهود ان سنرميهم في البحر. واذا كانت تعد هذا خطأ منا ، وهو مجرد تهديد لم ينفذ منه شيء فهل كانت الصهيونية على صواب ، وهي تنفذ رمي الفلسطينيين، الذين لم تستوعبهم وسائل قتلها وذبحها ، الى العراء ؟ ثم اين طيش ذلك القول ، الذي ما تزال وسائل اعلامها تضج به في طول العالم وعرضه، من طيش موشي ديان وزمرته بتهديدهم ان لن يكون مصيرنا، في سورية ومصر والاردن ولبنان والعراق ، بأقل رعبا من مصير الفلسطينيين ؟هل تريد ان نقابل وحشيتها بالاستسلام ، وان نترك حقنا لباطلها، وان نموت نحن لتحيا هي ؟ ومتى كان الانسان ، عربيا او غير عربي، يحني رأسه للخطر الماحق المحدق به ؟ هل تظن ان ضربها لمدننا ولقرانا من حول فلسطين كفيل باستسلامنا ؟ اذا كانت ترانا قد هنا عندها الى هذا الحد ، فانه لا يزال لدينا الفرصة في ان نموت دفاعا وكفاحا وليس استسلاما . ان حق اختيار الموت ، ما دام لا

مناص منه ، لا يمكن ان يعيبنا به أحد .

لماذا تستنكر اسرائيل ان نعاملها حسب نص توراتها : السن بالسن والعين بالعين ؟ هل سن الصهيوني من ذهب وسن العربي من خشب، وعين العربي من بلور وعين الصهيوني من نور ! هل البقاء للصهيونية وحدها وغيرها مجرد نسمة هواء عابرة في الفضاء ؟ الصهيونية تطارد آيخمان فتخطفه من الارجنتين لتقتص منه في تل ابيب . هذا حق لها . اما ان نحاول نحن استرجاع ارضنا ومطاردة الصهيونية على هذه الارض ، وقد انزلت بنا اضعاف ما أنزله ايخمن بها .الصهيونية احتلت ارضنا . آيخمن لم يحتل لها أرضا ، ولم يهتك لها مقدسات ـ ان نقاومها و،هي تفعل بنا ما لا يجهله احد ، فمن يلومنا في ذلك ؟

اذا كانت اسرائيل تتخذ القوة الوحشية لفرض وجودها الذي لم يتجاوز بعد اثنين وعشرين عاما ، أفلا يجدر بنا نحن ان ندافع عن وجودنا الذي يملأ تاريخ هذه المنطقة ؟ انها تخوفنا بالثمن الذي سيكلفنا اياه هذا الدفاع ولكن هل لنا ، وقد فرض علينا ذلك، الا ان نتذرع في مواجهتها بالصبر والتضحية اللذين تذرعنا بهما في كسر الامواج الغازية التي سبقت الصهيونية الى بلادنا . وهل كان للارض من رأسمال غير دم ابنائها لينفق في الدفاع عنها ؟ اذا لم ندفع هذا الثمن افلا نصبح ذات يوم بلا ارضنا ، وتمسي أرضنا ذات يوم بلا ابنائها . فعلى اي شيء تتكل الصهيونية باشادة هذه الدولة التي اغتصبت لها الارض ولا تفتأ تحشدها بالسكان والسلاح ؟

اذا نفت الصهيونية انها ليست « موضة » جديدة للاستعمار ،بل انها مجرد مستفيدة من الاستعمار ، واذا استمرت بالتوكيد المرة تلو المرة انها قادرة على مواجهة الدول العربية ، منفردة ومجتمعة وتقدمية ورجعية ، كما لا تنفك تقول، فالى اي مدى ستكون القوة مجدية ، والى اي يوم سيظل الضرب العنيف مخيفا وضامنا للبقاء ؟ هل سيفتح الضرب العنيف طريق البقاء ام سيؤدي بها الى عقبة لا تستطيع تجاوزها ولا البقاء عندها ؟

ان الارهاب بالضرب العنيف جربته القوى الغازية الوحشية،ولجأت اليه الدول الاستعمارية ، مضافا اليه عامل الزمن والاكتشافات العلمية والدراسات النفسية ، فكان ان صار بالقوى الوحشية الى الانكشاف السريع والانقراض،وبالدول الاستعمارية الى التقلص ثم الاكتفاء بما وجدت عليه نفسها من أرض الاجداد . فهل لدى الصهيونية اكثر من تلك التجارب للقوة والعنف ؟ أم أنها تتخذ القوة وسيلة الى التعايش السلمي ، كما تتخيل مع سكان هذه المنطقة ؟ اذا كانت التجارب الاولى باطلة ، فان المحاولة الثانية المغلوطة أشد بطلانا . ان الصهيونية قطعت على اليهود الطريق منذ ان بدأت تمشي فيه، لان تقتيلها للسكان وتذبيحها اياهم وتشريدهم واغتصاب ارضهم ، لا يمكن ان ينساه ولا يتجاوز عنه حيوان اعجم ،فكيف أن ينساه ويتجاوز عنه الانسان العربي الذي يجعل كرامته فوق وجوده !

صحيح ان اسرائيل باحاديثها الموجهة ونصائحها للنازحين الفلسطينيين تدعوهم بـ « الاخوة » وتظهر من اللين في تلك الاحاديث ما لا تذكر معه مذابح قبية ودير ياسين وضرب المخيمات، ولكن هل هي باحاديثها هذه تحملهم على اليأس ونسيان بلادهم ، كما تقصد، أم انها تثير بتلك النصائح اكثر مما تهدىء وتذكر بالعداء اكثر مما تنسي ؟ انها تتكلم من مركز القوة معتبرة ان القوة هي كل شيء للغالب وكل شيء على المغلوب . وتنسى بان القوة ، والقوة الاجنبية بخاصة ، ما كانت ابدا ولا قط ، وسيلة للسيطرة على شعب في ارضه .وهذا هو التاريخ امام الصهيونية فلتتصفح منه ما تشاء قبل ان تصل الى العقبة التي لا تستطيع تجاوزها ولا البقاء عندها .

الصهيونية غزو أوروبي :

ونظل مع الواقع ما دامت اسرائيل تفترضه وتدعونا للاخذ به . ولكننا الآن مع واقع اسرائيل بالذات . ولنقل ، ايضا ، انها مجرد مستفيدة من الاستعمار ، وليست جلدا من جلوده التي ما يفتأ يظهر بها ... ان اسرائيل لا تستطيع ان تنفي ان فكرة ايجاد دولة لليهود انما نبتت في خيال يهود اوروبا ، وليس في خيال يهود هذه المنطقة. والاشخاص الذين حضنوا هذه الفكرة ، وضمنوا لها حرارة الاستعمار حتى فقست ،هل كانوا يهودا شرقيين ام غربيين ؟

لقد سبق لهذه المنطقة ان عرفت الغزو الاوروبي في أوقات دوافع مختلفة . عرفته على ايدي الذين فقدوا مناصبهم وامارتهم في اوروبا ، فابى عليهم طموحهم ،او انهزامهم هناك ، الا ان يحملوا الصليب الذي انبتته هذه المنطقة سلاما ليهاجموها به حربا واحتلالاستغلين اقدس شيء لاخبث غاية . وشهدته على ايدي الاستعمار الحديث ، الذي لم نكد نتخلص من مظاهر غزوه ، حتى تجدد ، ولكن بمظهر الصهيونية ، وكأنه قد وجد فيها كل ما كان ينقصه من ذرائع التمركز . وتتشدد الصهيونية بنفي انها ليست حركة استعمارية مدبرة على اساس عنصري تجهد في فرضه . ولكن هل كان سعيها يعني اقامة دولة لليهود في هذه المنطقة بقدر ما تعني ان تكون هذه الدولة جزءا من سوريقي أوروبا من آسيا وقاعدة عسكرية امامية تحمي اوروبا من البربرية « كما يحلو لهرتزل ـ احد مؤسسي الصهيونية ـ ان يقول .(١)

ان اسرائيل كانت ، ولا تزال ، « مستطيعة بغيرها » . وهل كان ذلك الغير الذي استطاعت به الاستعمار البريطاني ،وهل الغير الذي لا تزال مستطيعة به الآن الا الاستعمار الاميركي المتعنت ؟ وهذا ما يشحذ فينا العزم ، ما دامت قد وضعتنا في خط مواجهة مصير محتوم، الى ان نقاومها كما قاومنا الاستعمار . وثمنها هو نفس الثمن الذي لا تزال الشعوب المستعمرة جاهدة في دفعه . ان الصهيونية احرى منا باستعمال المنطق الصحيح لتتعظ بتصفية الاستعمار . ولو كانت مخلصة في المنطق الذي تهول علينا به لاستدلت هي به على زوالها ما دامت لا تزيد عن فرع من شركة الاستعمار .وهذا ما يجعل الصهيونية تخطىء ايضا مرتين في منطقها الناتج من مقدمات القوة والعنف في الضرب ، لانها كانت نفس مقدمات الاستعمار . واذا لم يكن علينا ان نواجهها كدولة اجنبية فلا بد لنا من مواجهتها كوجه آخر من وجوه الاستعمار التي أريق ماؤها في معظم مناطق العالم .والراي العام العالمي الذي خدعته زمنا ما سيستفيق على هذا الواقع ويكفر عن انخداعه .

تبصير بالمنطق والواقع والتعقل :

ان الصهيونية وان تشبهت بالاستعمار احتلالا لارض وبطشا وحشيا بسكانها ، فانها لا تشبه دول الاستعمار من ناحية أهم ، كان أجدر بالمنطق الصهيوني ان يضعها في الاعتبار الاول . الاستعمار الفرنسي لما صفي ،وجد الفرنسيون المتوزعون في المستعمرات بلادا يرجعون اليها . ولما غرب الاستعمار البريطاني عن الامبراطورية التي كانت تتحدى الشمس ان تغرب عنها ، بقي للانجليز جزيرة يقبعون فيها. والاستعمار الاميركي حين سيلحق بسابقيه ،سيجد الاميركيون فوهات آبار بترول ومناجم وآلات زراعية يجترون ندمهم من حولها . اما اليهود الذين تأبى الصهيونية الا ان تحشدهم في هذه المنطقة ولا تفتأ تشن بهم حملات التقتيل والتدمير والابادة ، فالى اين يلجأون اذا ما قاضاهم العرب هذا الحساب الفادح .. اذا ما قام الاخ يثأر لاخيه .. اذا ما راحت الام توقظ عظام ابنائها لتشق بها قلوب الذين قتلوهم .. اذا ما هب اصحاب الاعراض المهتوكة يردون اعتبارهم ، واصحاب الارض المسلوبة يسترجعون ارضهم !

هل نحن الذين نقول سنرميهم في البحر، أم ان الصهيونية هي التي لم تترك مكانا لليهود الا البحر ! لماذا تبالغ الصهيونية في احراجنا وتحشد اليهود في هذا المأزق ؟ لماذا تركب هذه المعادلة الشيطانية : العرب والفناء واليهود . ولا تترك لها حلا الا« مجهول » القتال ؟ لقد

(١) تيودور هرتزل ، الدولة الصهيونية ، لندن ١٨٩٦، ص ٢٩ .

تعدت القضية فلسطين كجزء من الوطن العربي ، وتجاوزت الفلسطينيين كجزء من الشعب العربي ،وصار كل عربي من الخليج الى المحيط ، امام معركة المصير التي فرضتها الصهيونية فرضا .. ومن لم يمت بالسيف مات بغيره . هنا ، فلتستعمل اسرائيل المنطق والواقع والتعقل. فنحن ما أردنا باليهود شرا ، ولكن الصهيونية هي التي أرادته بنا وباليهود على السواء .

اسرائيل والغرور :

يحلو لاسرائيل ان تنعت بعض الزعماء العرب بالغرور ، فتردح في هذا المجال وتجمح . ونحن لا نريد ان نحرم فم اسرائيل حلاوة هذا النعت . ولكن اذا قسنا مصيرنا كأمة منتشرة بين الخليج والمحيط بمصير الصهاينة الوافدين كمجموعات غازية الى هذه المنطقة فاينا يكون المغرور ؟ تهدد .. ستحتل ما بين الفرات والنيل واطرافا من الجزيرة العربية .. ستضرب مئة مليون عربي . ولكن هل هذا التهديد منطق وواقع وتعقل، أم غرور وطيش وحماقة ! صحيح ان بريطانيا كانت تضرب سكان مستعمراتها . ولكن بمجندين من مستعمرات اخرى ، ولم يكن ـ ما عدا القواد ـ بالانجليز . فماذا كانت عواقب الاحتلال والضرب ؟ وصحيح ان اميريكا تحارب في فيتنام بقوة مئتي مليون اميريكي ،وكذلك ماذا اغل هذا الضرب حتى الآن ؟ ترى ، بكم مليون ستحارب الصهيونية ، ومن هو المغرور .. بل من هو الاحمق ؟

احتلت فلسطين ؟ وقديما « خربت اسرائيل ، ولم يعد لابنائها وجود . واضحت فلسطين ارملة لمصر » .(٢) وحدها ،فكيف وقد اضطر العرب جميعا لان يكونوا في معركة المصير ؟!

مرة اخرى مع الوهم القومي :

واخيرا ، لا بد لنا من الوقوف مرة اخرى عند وهم الصهيونية الذي « عكرت » به الرأي العام العالمي واصطادت به فلسطين ولا تزال تناهب لاصطياد اكثر من فلسطين ،وهو : القومية اليهودية .فالصهيونية كما توهم ،حررت ارضا اضاعتها قبل الفي سنة فقط ، وقد وجدت وصفها في التوراة ووعدا من « يهوه » بالعودة .. وعلى هذه الارض كانت عرفا الخ ... فالى اي مدى يصح هذا الادعاء ، ويخول الصهيونية حق احياء تلك الدولة ؟

ان المؤرخين ، على اختلاف تعريفهم للتاريخ ، لم يعتبروا التوراة « كتاب تاريخ » .بل «هي وجهة نظر خاصة « لاناس يلعنون انفسهم فيها بلا مراعاة لاي شرط آخر .ومن يلعن نفسه بهذا السخاء وبهذا الصدق ماذا يهمه ان يلعن كل شيء آخر ؟ انهم يصرخون فيها بالويل والثبور على انفسهم . ولو كانوا عرضوا على « لجنة طبية » في ذلك الوقت ، هل كانت تتردد بالحكم على عقولهم بالاختلال وعلى انفسهم بالانحراف ؟ وما داموا في مثل هذه الحالة ، فماذا يردعهم ان يصبوا الويل والثبور على العالم كله ؟ واذا كانت المطالبة بفلسطين وطنا « قوميا » لهم على هذا الاساس ،فهل يحق لشخص احب فتاة ونظم فيها قصيدة أو كتب فيها قصة ، ان يطالب باولادها وباحفادها لان اسم امهم وجدتهم ورد في شعره او نثره ؟

فمتى كان اليهود في فلسطين ، ومن هم الفلسطينيون ؟ يقول فاليري اتكنسون : «ان الاسم الحقيقي لفلسطين جاء من الفلسطينيين الذين لم يستول على ارضهم (غزة) مطلقا ،حتى ولا من قبل الملك داوود . وكان السكان الاصليون خليطا من الساميين قبل ان يأتي اليهود من اور ، وحتى اورشليم كانت مزدهرة قبل ان يستولي عليها الملك داوود بثماني مئة سنة (٣) .

فاليهود ، اذا ،لا يمتون الى فلسطين بصلة الشوء اطلاقا . وانما تفرض اي مجموعة بدوية وافدة سيطرة مؤقتة ، كذلك فرض اليهود مثل هذه السيطرة الموقتة الى ان انقسمت « يهوذا » الجنوبية عن « افرايم » الشمالية ، وكان بينهما من العداء ما ادى الى انهيار الاثنتين في مدة قصيرة .(٤) وهذا يعني ان اقامة اليهود « « مملكة » في جزء من فلسطين كان اغتصابا وقهرا ، كما هو حال الصهيونية الآن .واذا كان الاحتلال يعطي المحتل حق انتسابه الى الارض التي احتلها فترة قصيرة من الزمن ، فالانجليز ، اذا ، صاروا هنودا وعربا ، والاتراك صاروا عشرات القوميات ، والفرنسيون صاروا صينيين وافريقيين وعربا الخ...اذ ان كل دولة من هؤلاء قد لبثت في البلدان التي احتلتها اضعاف اضعاف ما عاشته مملكة يهوذا وافرايم في جزء من فلسطين. واذا كان للناس الحاليين حق امتلاك ما مر به اسلافهم ، فيحق لنا نحن ، اذا ، امتلاك سمرقند التي أسسها في سالف الاوان احد اتباعه اليمن اذا جعلنا صحة اخبار التوراة بمستوى صحة اخبار تبع !

وأدعى للتندر من ادعاء الصهيونية فلسطين ادعاؤهم قومية يهودية. اذ ان سلامة اي عرق من البشرية لم تسعها ذمة أشد القائلين بالقومية تعصبا حتى وان بقي هذا الشعب في الارض التي انبتته آلاف السنين . فكيف تضمن سلامة « عرق » في حالة عصب العينين والافتراض ان اليهود عرق ، وفد على فلسطين وفودا، واضطرب بينها وبين مصر ، وغضب عليه الرومان اكثر من مرة ،ثم حمل الى بابل مغضوبا عليه ايضا ، وتفرق في العالم مشهورا بالغضب . واي ساب في تلك العصور كان يعف عن مسبباته واي غاضب كان لا يطفيء غضبه في نساء المغضوب عليهم ! فمن يستطيع ان يأخذ على « ذمته » ان يهود اوروبا الشرقية والغربية ،ويهود اي مكان في العالم ،هم من اولئك الذين مروا في فلسطين ؟وحتى كدين ، كان اليهود يغيرون كما يقول رودنسون ،دينهم حتى قيام الثورة الفرنسية .(٥)

فليت اسرائيل تستعمل المنطق الصحيح وليس منطقها الخاص . واذا كان اعجابها بدعايتها و« واقعها » القصير قد انساها«التعقل» الذي تفرضه علينا ، واذا كانت قد اغترت بانخداع العالم بها ،وبضمان بقائها من قبل شركة ضمان الاستعمار الاميركية ، فان العالم سيجد متسعا يلوم فيه نفسه على انخداعه ب « باطل الاباطيل » والذين يتكلفون ببقائها قد يجدون تحت اقدامهم ارض بلادهم يعيشون عليها، كيفما كان ، بعد ان يروا الصهيونية « قبض الريح » .اما الصهيونية وقد اخذت تحشد اليهود في فلسطين وتشن بهم غارات التدمير والابادة على العرب ، فهل تركوا لانفسهم متسعا يعيدون فيه ما صرخ به يهودي قديم : « ويل لي يا أمي لانك ولدتني انسان خصام وانسان نزاع لكل الارض ، لم اقرض ولا اقرضوني، وكل واحد يلعنني .. ملعون اليوم الذي ولدت فيه . « آمين ! مرة اخرى ، فلتستعمل اسرائيل هذا المنطق وهذا الواقع ، ولتأخذ بهذا التعقل مرة واحدة .

يوسف احمد المحمود

(٢) قصة الحضارة ،ج ١م٢ ،ول ديورانت ، ص ٣٢٤ .

(٣) المجلة الجغرافية ، رسالة الى رئيس التحرير ردا على«العودة الى أرض الميعاد » المنشور في عدد كانون الثاني ١٩٦٩ . آذار ١٩٦٩ ، لندن . (٤) قصة الحضارة ،ول ديورانت،ج١م٢، ص ٣٤٨ .(٥) اسرائيل والعرب ، مكسيم رودنسون ، بنجوين بووكس ، ص ١٠ .

صدر حديثا

صقيع تحت الشمس

شعر بشير قبطي

نماذج رفيعة من شعر المقاومة الفلسطينية

الثمن ٢٠٠ ق . ل